# ذكرى مُعْجِزَة الإِسْرَاءِ وَالمِعْـــرَاج (1)

إخوة الإيمان: فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ نَتَفَيَّأُ ظِلَالَ ذِكْرَى مُعْجِزَةٍ مِنْ أَعْظَمِ الْمُعْجِزَاتِ يَسْتَحْضِرُهَا الْمُسْلِمُونَ فِي شَهْرِ رَجَبٍ عَلَى مَرِّ السَّنَوَاتِ، لِيَسْتَلْهِمُواْ مِنْهَا الْعِبَرَ وَالْعِظَاتِ، وَتُذَكِّرهُمْ بِسِيرَةِ خَيْرِ الْمَخْلُوقَاتِ، إِنَّهَا ذِكْـــرَى مُعْجِـــزَةِ [الْإِسْرِاءِ وِالْمِعْرَاجِ]عباد الله: كانتْ رِحلَةُ الإِسْراءِ والمِعراجِ مِن المُعجِزاتِ التي أيَّد بها اللهُ عزَّ وجلَّ نَبيَّه مُحمَّدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فأَكْرَمَه اللهُ وأَصْعَدَه مع جِبريلَ إلى السَّمواتِ العُلا، حتَّى أراه الجَنَّةَ والنار وأراه مِن آياتِه الكُبْرى، وتبدأ قصّة الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْـــرَاجِ عندما نزل جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بصحبة ملَكين آخَرين، فأخذوه وشقّوا صدره، ثم انتزعوا قلبه وغسلوه بماء زمزم، ثم قاموا بملء قلبه إيماناً وحكمة، وأعادوه إلى موضعه، وهذه المعجزة احتارت فيها بعض العقول، فزعمت المعتزلة أنها كانت بالروح فقط، أو كانت مناماً، لكن الذي عليه جمهور المسلمين من السلف والخلَف أنها كانت بالجسد والروح، قال ابن حجر في شرحه لصحيح البخاري: إن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة، في اليقظة بجسده وروحه صلى الله عليه وسلم، وإلى هذا ذهب جمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغي العدول عن ذلك، إذ ليس في العقل ما يحيله، حتى يحتاج إلى تأويل، لكن العلماء اختلفوا في الحادثة متى كانت؟ في أي سنة كانت؟ وفي أي شهر كانت؟ قيل: كانت قبل الهجرة بسنة، وأما الشهر قيل كانت في ربيع الأول، وقيل: كانت في رجب، وقيل: كانت في رمضان، وقيل: كانت في شوال، وراجعوا [كتاب سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالحي] عباد الله: الإسراء والمعراج معجزة من أجلِّ المعجزات، وأعظم الآيات التي تفضل بها المولى سبحانه على نبيه ومصطفاه محمد صلى الله عليه وسلم، مَرَّ خِلَالَهَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابُهُ بِالْكَثِيرِ مِنَ الْعَقَبَاتِ وَمَارَسَتْ عَلَيْهِمْ قُرَيْشٌ مَا تَنُوأُ بِهِ الْجِبَالُ مِنَ الِاعْتِدَاءَاتِ، فَأَكْرَمَهُ اللَّهُ بِمُعْجِزَةِ [الْإِسْرِاءِ وِالْمِعْرَاجِ ]لِتَمْسَحَ آثَارَ تِلْكَ الِاضْطِهَادَاتِ، وَثَبَّتَ قَلْبَهُ لِإِتْمَامِ مَسِيرَتِهِ فِي دَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى هَذَا الدِّينِ، وَلِيَكُونَ ذَلِكَ تَمْحِيصاً لِلْمُؤْمِنِين، وَتَمْيِيزاً لِلْمُنَافِقِينَ، إضافةً إلى كون هذه المعجزة سبباً في تخفيف أحزانه وهمومه، وتجديدِ عزمه على مواصلة دعوته والتصدّي لأذى قومه، فقد شهدت الأيّام السابقة لتلك الرحلة العديد من الابتلاءات، كان منها موت زوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، والتي كانت خيرَ عونٍ له في دعوته، ثم تلاها موت عمّه أبي طالب، ليفقد بذلك الحماية التي كان يتمتّع بها، فحزن لفقدهما، وحتى سمي ذلك العام بعام الحزن، ثم زادت المحنة بامتناع أهلِ الطائف عن الاستماع له، والقيامِ بسبّه وشتمه وطرده، وإغراءِ السفهاءِ لرميه بالحجارة، مما اضطرّه للعودة إلى مكّة حزيناً كسير النفس، ومع اشتدادِ المحن وتكاثرِ الأحزان، فكان النبي صلى الله عليه وسلم في أمسّ الحاجة إلى ما يعيد له طمأنينته، ويقوّي من عزيمته، فكانت معجزة الإسراء والمعراج، فكلمه الله كفاحا، وأراه إخوانه من الأنبياء الذين عانوا قبله في دعوة الناس ما عانوا، وأراه الجنة والنار فظهر له عيانا جزاء الله لمن أطاع وآمن به، وعقوبته لمن عصى وكفر به، وأكرمه بفرضية الصلاة التي هي عون للعبد على تحقيق جميع الطموحات، عباد الله: كانت رحلة الإسراء والمعراج اختباراً جديداً للمسلمين في إيمانهم ويقينهم، وفرصة لمشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم، عجائب القدرة الإلهية، والوقوف على حقيقة المعاني الغيبيّة، والتشريف بمناجاة الله في موطنٍ لم يصل إليه بشرٌ قطّ، ولأهمية هذه المعجزة ؛فقد ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم في موضعين: الأول: في سورة: الإسراء؛ التي بدأها سبحانه بقوله: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [الإسراء] والثاني في سورة النجم؛ قال تعالى: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى [النجم] الضمائر في هذه الأية كلها تدل على مكانة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فمعجزة الإسراء والمعراج يضيق المقامُ عن سردها بالتفصيل، وأحاديثُها في الصحيحين وغيرِهما، ونلخص هنا أهم معالم هذه المعجزة، وتتمثل فيما يلي: الإسراء والمعراج أيها الأحبة كانا في اليقظة لا في المنام كما يزعم المعتزلة، أخْرج البخاريُّ ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: أُتيتُ بالبُراق، وهو دابّة أبيضُ طويل، فوق الحمار ودون البغل، يضَع حافره عندَ منتهى طرفه... قال: فركِبْتُه حتى أتيتُ بيت المقدس، قال: فربطه جبريل بالحلقة التي كان يربط به الأنبياء، قال: ثم دخلتُ المسجِد فوجدته ممتلئ بالأنبياء فقدمني جبريل فصليتُ بهم رَكعتين، وكانت صلاته بالأنبياء دليلاً على مدى الارتباط بين دعوة الأنبياء جميعاً من جهة، وأفضليّته عليهم من جهة أخرى، ثم بدأ الجزء الثاني من الرّحلة، وهو الصعود في الفضاء وتجاوز السماوات السبع، أي ثم عرج به في تلك الليلة إلى السماء الأولى فاستفتَح جبريل، فقيل: مَن أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومَن معك؟ قال: محمد ، قيل: وقدْ بُعِث إليه؟ قال: نعم قد بُعِث إليه، ففُتِح لنا... وهكذا في كل سماء يستأذن جبريل ويستقبله نبي من الأنبياء بالترحيب؛ وفي السماء الأولى أُتي بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل، فأخذ اللبن، فقال له جبريل عليه السلام: فقد أصبت الفطرة التي أنت عليها وأمتُك، وفي الجمعة المقبلة تتمة للحديث عن هذه المعجزة إن شاء الله تعالى.

**خطبة الجمعة ليوم 24 يناير 2025 م**